مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:02، جوان 2026، صص: 299- 313
تاريخ الاستلام(2025/11/13)تاريخ القبول (2026/05/14)تاريخ النشر (2026/06/30)

وظيفة اللوحة الفنية في رواية (أصابع لوليتا) لواسيني الاعرج

The Artistic Painting Function in Wassini Al-A'raj'sNovel (Lolita's Fingers)

مشري أحمد [1]، ورو عقيلة [2]
مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية
[1] جامعة الوادي(الجزائر)، mechri-ahmed@univ-eloued.dz
[2] جامعة الوادي(الجزائر)، akila-grourou@univ-eloued.dz

ملخص:

تعد صورة الغلاف في الرواية من أهم العتبات النصية التي يتوقف عندها المتلقي اعجابا وقراءة وتأويلا، إذ تعتبر العتبة الأولى للتفاعل مع النص، وقد أولت الدراسات النقدية لها اهتماما بالغا باعتبارها علامة بصرية لها قدرة على جذب المتلقي بجماليتها وما تحمله من دلالات و إيحاءات، وتختلف هذه الصورة من رواية إلى أخرى. وقد امتازت روايات واسيني الأعرج باختيار لوحات فنية كصورة للغلاف وظهر هذا جليا في عدد من أعماله مثل: جملكية آرابيا، شرفات بحر الشمال... وهذا الاختيار يضفي على الغلاف بعدا جماليا يغرس لدى المتلقي رغبة في الاطلاع على الرواية وتثير لديه تساؤلات حول العلاقة بين اللوحة الفنية والمتن الروائي وأحداثه. و انطلاقا من ذلك، تسعى هذه الدراسة لقراءة جمالية اللوحة الفنية بوصفها عتبة نصية وتحليل العلاقة التي تربط بين الصورة الغلافية والمتن السردي.

كلمات مفتاحية: اللوحة الفنية؛ أصابع لوليتا؛ العنبة النصية؛ السرد؛ الغلاف؛ المتلقي؛ واسيني الأعرج

المؤلف المرسل: مشري أحمد، الإيميل:mechri-ahmed@univ-eloued.dz

Summary:

The cover image in a novel is considered one of the most important paratextual thresholds that immediately attracts the reader's attention, inviting admiration, interpretation, and reading. It represents the first point of interaction with the text and has therefore received significant attention in critical studies, as a visual sign capable of engaging the reader through its aesthetic qualities and the connotations and implications it carries. This cover image varies from one novel to another.The novels of WaciniLaredj are particularly distinguished by their use of artistic paintings as cover images, a tendency clearly evident in several of his works, such as The Kingdom of Arabia and Balconies of the North Sea. This choice adds an aesthetic dimension to the cover, encouraging the reader to explore the novel and raising questions about the relationship between the artistic painting and the narrative text and its events.Accordingly, this study aims to explore the aesthetic dimension of the artistic painting as a paratextual threshold and to analyze the relationship between the cover image and the narrative body of the text.

Keywords: artistic painting; Lolita's Fingers; paratextual threshold; narration; cover; reader; WaciniLaredj

1. مقدمة:

العنوان من عتبات الرواية وذلك لكونه أول ما يجذب نظر المتلقي لأي عمل أدبي؛ فبقدر جمالية وجاذبية العنوان يكون التلقي والتواصل مع العمل الأدبي «فهو علامة نصية، تسعى الى الكشف عن ملامح المجهول المنتظر (النص) وتخلق جوا من الألفة يستأنس بها القارئ قبل أن ينخرط في رحلة استكشاف النص، والتسلل الى ردهاته الداخلية»[1]وهو ما يجعل صاحب العمل يفكر ويختار ويمايز بين عدة عناوين قبل أن يستقر على عنوان يراه الأقدر على جذب القارئ وإثارة الدافعية فيه لقراءة عمله الأدبي.

والعنوان هو جزء من العتبات النصية التي يحاول الكاتب أن يبدع فيها، بحيث تكون العلاقة بينهم تكاملية «ليكون العنوان أول مثير في النص بفضائه الرحب، وموقعه الخطير في أعلى النص، مع ما يعتلي كينونته من عتمة»[2]

يطرح عنوان الرواية (أصابع لوليتا) أسئلة لدى المتلقي حول دلالات هذا الاختيار، ويبعث فيه الشغف للبحث عن خلفياته التي يخفيها الكاتب عن المتلقي «فقد أضحى قصر العنوان من سمات العنوان الحديث، إذ أصبح العنوان إشارة عابرة مكثفة تغوي المتلقي»[3]،

ومنه فإن تحليل وتفكيك كلمات عنوان الرواية (أصابع لوليتا) قد يفتح أمام المتلقي دلالات وعلاقات تقفز به إلى فضاءات أرحب للتأويل.

فالأصابع تحيل المتلقي إلى شخصية فنانة (رسامة) تستعمل الأصابع في الرسم؛ فجمالية الرسم وبراعة التلوين تبرز من خلال القدرة الرهيبة للأصابع أثناء التحكم في ريشة الرسم، وصورة اللوحة الفنية المختارة على الغلاف كشاهد وداعم لهذا التخمين.

كما قد تشير الأصابع إلى شخصية كاتبة ومؤلفة ومظهر الفتاة في الصورة وهي تنظر إلى الكتب، وكأنها في مرحلة البحث عن قصة جديدة.

ومن جهة أخرى، قد يؤوّل المتلقّي لفظة "الأصابع" إلى شخصية عازفة لآلة موسيقية، إذ تبرز أهمية الأصابع من خلال الانتقال بسلاسة بين النغمات الموسيقية، كما يمكن أن تكون عارضة أزياء، واختار من جسدها الأصابع.

أما اللفظة الثانية في العنوان، فإن المتلقّي يتماهى مع اسم لوليتا، مستعيدًا شخصية لوليتا في الرواية الشهيرة لناباكوف، فيتوقّف المتلقّي عند هذا الاسم محاولا أن يجد الصلة بين اسم الشخصية وما غرض الكاتب من اللوحة.

فعنوان الرواية (أصابع لوليتا) يدفع لدى المتلقي رغبة جامحة في الاطّلاع، لما يحمله من دلالات تستفز القارئ؛ فتعدد تأويلاته تجعله يُقبل على قراءة العمل بشغف «فكلما كان العنوان مختصرًا اتّسعت دلالته، وقويت طاقته الاشعاعية، وامتد فضاءه الايحائي، وانفتحت آفاقه الرمزية»[4] التي تسيطر على المتلقي وتربطه بالعمل.

ولذلك، فعلى الروائي أن يُجيد اختيار الصورة المصاحبة للغلاف، باعتبارها علامة بصرية وأيقونية تُسهم في جذب المتلقّي؛ فهي لا تقلّ أهمية عن العنوان، بل لعلها الأسبق لنظر المتلقّي الذي ينجذب لجمالية الصورة والألوان «وتتخذ لوحة الغلاف أهميتها من كونها دالا بصريًا يكتنز بين تضاريسه عديد التأويلات والقراءات بِعدّه حيزا مهما في المنجز النصي يشد المتلقي ليخاطبه بلغة بصرية»[5]

وواسيني الاعرج من أهم الروائيين الذين يحاولون الوصول الى أقصى درجات الجمال والمتعة في عتباته النصية في رواياته المختلفة، ويرجع هذا بالأساس الى تشعّب رواياته وأحداثها وتداخل مجمل الفنون فيها، وهو ما يتيح له مجالاتٍ أرحب في اختيار الصورة الغلافية للرواية، وتبرز كذلك ثقافته الكبيرة التي تجلّت عن طريق استدعائه لمواضيع عدة

في الموسيقى والفنون والتاريخ، وهو ما يبرز جليا في أعماله الأدبية التي لا تخلو من الإشارة إلى أعمال فنية عالمية في مجال الموسيقى والفن، أو استدعاء فنانين ومشاهير في مجالات الرسم والنحت والهندسة في العديد من رواياته مثل: فان جوخ، رامبرانت، ماريا بوتشيلي، اراخونيس، انطوني غاودي،..

إلا أنه في بعض الأحيان على المتلقي، عدم الوثوق كثيرا في هذه العتبات (صورة الغلاف) "لأنها قدتكن تحت المسؤولية المباشرة والأساسية للناشر"[6] ولهذا فان ربط هذه المناصات بالعمل الأدبي يحتاج دوما الى روية.

1.جمالية الصورة الغلافية:



تعد صورة الغلاف عتبة مهمة في العمل الأدبي، إذ لها القدرة على جذب انتباه المتلقي وإثارة فضوله للغوص في ثنايا العمل. وفي رواية (أصابع لوليتا) قدم واسيني الأعرج صورة غلافية متمثلة في لوحة فنية، وهو من الروائيين القلائل الذين يعتمدون هذه التقنية في غلاف رواياتهم إذ ظهرت لديه في عدة أعمال مثل: شرفات بحر الشمال، جملكيةآرابيا، كتاب الأمير..

تم اختيار لوحة توبة المجدلية للرسام دولاتور لتكون لوحة الغلاف، ويثير هذا الاختيار لدى المتلقي رغبة في التعرف على العلاقة التي تجمع هذه اللوحة مع المتن السردي، تمثل هذه اللوحة صورة امرأة تجلس في غرفة مظلمة خافتة النور، إلا من شمعة كادت تنطفئ، تضيء إضاءة خافتة، تجلس المرأة وهي تضع خدها على يدها التي أسندتها إلى الطاولة، التي وُضع فوقها بعض الكتب، فهي تنظر بنظرات خاملة إلى الشمعة وهي تذوب، في حين أن يدها الأخرى قد وضعت على جمجمة في حجرها، ما يلفت النظر في هذه اللوحة هو اللباس الذي ترتديه المرأة، الذي يكشف كتفها الأيمن مع شعرها الأسود الذي ينسدل على ظهرها، مع اختيار لباسها الأبيض في هذا الظلام الذي يغطي الجزء العلوي منها، في حين أن اللون الأحمر هو لون لباسها الذي يغطي الجزء السفلي منها، فالمرأة في اللوحة «تنظر إلى النور ولكنها في

الوقت نفسه تضع يدها على جمجمة وهو ما يجعل وضعيتها متأرجحة بين الحياة والموت وبين الحرية والعبودية»[7]وهذا ما يفتح امام المتلقي تأويلات أخرى لأحداث الرواية.

إن اختيار الألوان في اللوحة الفنية يحمل وراءه دلالات، يحاول الفنان من خلالها تقديم إشارات يلتقطها المشاهد لتثري جمالية اللوحة.

فدلالة اللون الأسود الغالب على اللوحة يشير إلى المدة التي عاشها البطل في ظلام، وهو مختبئ في ماخور "عيشة الطويلة" لا يراه أحد لمدة ستة أشهر، عكف خلالها على القراءة، وكذلك يحيلنا إلى حياة ماجدلينا التي ساهمت في إخفاء يونس مارينا، وكانت وسيلته الوحيدة للتواصل مع العالم، فحياتها كانت دوما تحت التهديد من عائلتها أولا لغسل العار ومن ذئاب العقيد إذا اكتشفوا أمرها «فاللون الأسود هو رمز الحزن والألم والموت، كما انه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم»[8]

أما اللون الأحمر في اللوحة فهو «يدل على القسوة والثورة والغضب والإثم والخطر وهو يثير الغرائز والهيجانات الصغيرة»[9]فهو يرمز إلى معاناة البطل في حياته، والخطر الذي يتهدد حياته بداية من ذئاب العقيد في وطنه، وإلى المتطرفين خارج بلاده، كما يرمز اللون الأحمر إلى النهاية المأساوية للوليتا، فقد أحاط اللون الأحمر بخصرها وهو ما يشبه الحزام الناسف الذي استعملته لإنهاء حياتها.

أما اللون الأبيض، الذي يرمز إلى السكينة والهدوء والاطمئنان، فهو يمثل بعض اللحظات التي عاشها أبطال الرواية في هدوء بعيدًا عن الخطر، كما أنه يرمز إلى ما تحلّى به هؤلاء من طيبة تجلّت في تعاملهم مع الاخرين.

كما أن الشمعة التي تضيء اللوحة وتحاول أن تبعد الحزن والظلام وتسعى لإعطاء بعض الأمل من خلال محاولة إضاءة المكان للمرأة، قد يجدها القارئ في الرواية ممثلة في يونس مارينا، الذي حاول أن يبعد الحزن عن ماجدلينا أولا، خاصة بعد أن علم بقصتها، فهو الوحيد الذي تكن له الحب، أما الباقي «كل الذين يأتون إلى هذا المكان، يدفعون، يعبرون جسدا ميتا لا يملكون فيه أي حق»[10]، وعلى الرغم من فسحة الأمل التي عاشتها ماجدلينا مع يونس مارينا، فهي لم تستمر لأنه غادر الماخور فجأة ليتم تهريبه إلى خارج البلاد، لتعود ماجدلينا إلى حياة الليل في الماخور ولتعم الظلمة حياتها من جديد.

أما لوليتا فقد حاول أن يعيدها إلى عنفوانها ونشاطها كعارضة أزياء بعد ما عانته من والدها، إلا أن هذه المساعدة لم يكتب لها النجاح أمام قوة الحزن وجبروته، لتنتهي حياة لوليتا بالانتحار ويعم الظلام المكان.

وتظهر أهمية الغلاف ليست فقط بسبب الصورة المصاحبة، بل إن اسم المؤلف وعنوان العمل الادبي كلها عناصر لها أهميتها في الغلاف، لأنها تضفي قوة ومصداقية على العمل، خاصة إذا كان الكاتب اسما معروفا.

إن اختيار هذه اللوحة لم يكن عفويا، بل إنها كانت مُهمة في المتن الروائي بحضورها الدائم في الأحداث وتداخلها معها «فالصورة على هذه الشاكلة ترداد بياني بالمعنى دون الكيفية يؤدي إبلاغيه مقصودة وإرسالية وظيفية تجذب القارئ؛ وتحاول تسريع الرصد الدلالي لمحتوى العنوان ولقطة مشهدية تُدرَك بالعين القارئة قبل تقليب صفحات الرواية وتأمل مشاهدها المكتوبة بالحرف والحركات ودلائل الكلمة والجمل وأدوات الرسم الخطي»[11] وهذا ما يبرز ثقافة الكاتب وسعة خياله وطول نفسه السردي، الذي استطاع أن يؤسس رواية في أحداثها المتتالية لوحة فنية تتداخل في غالبية مشاهدها السردية، حيث تمكن الروائي طوال أحداث الرواية. الممتدة من بدايات انقلاب بومدين على بن بلة إلى أواخر سنوات المحنة. أن يجعل من اللوحة الفنية عاملا دائما ومؤثرا في الأحداث.

عنوان العمل الأدبي هو (أصابع لوليتا) إذ يقف القارئ حائرا في مدلول هذا العنوان، فهو يربط بين العنوان وصورة الغلاف ليحاول أن يجد الصلة بينهما وأن يقارب بينهما لفهم هذا العمل، وهنا تبرز الوظيفة الإغرائية للعنوان «التي تهدف إلى استجلاب اهتمام القارئ أو الجمهور المستهدف»[12] إذ يزداد اضطراب القارئ بين مجموعة من المكونات التي تحيل الى الأصابع مثل: الجمال، الرسم، الموسيقى،...وبين اسم لوليتا الذي يحيل القارئ مباشرة إلى رواية (لوليتا) لفلاديمير ناباكوف «فصورة الغلاف هي علامة إشارية تحيل على مجموعة من الدلالات التي لها علاقة بالمتن»[13] وهو ما يجعل القارئ يطرح عدة أسئلة قبل قراءة الرواية :

.هل البطلة طفلة تتقاطع حياتها وتتشابه مع لوليتا الحقيقية؟

.إلى ماذا ترمز هذه اللوحة الفنية وما علاقتها بالنص الروائي؟

.كيف تمكن الروائي من جمع رواية عالمية ولوحة فنية عالمية في متن سردي واحد؟

مجموعة من التساؤلات يقف القارئ عاجزا عن ربط الصلة بينها، ما يزيد في تشوقه للرواية واطلاعه عليها، وهذه هي إحدى أسباب اختيار صورة الغلاف والعنوان، وذلك لإثارة دافعية القارئ للتواصل مع النص الأدبي لذا اهتم الناشرون والكتاب المعاصرون بتصميم أغلفتهم ليس فقط لتكون فعالة وقادرة على جذب الانتباه بل لتساعد على فك شفرات النص واكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص»[14]

إن كل هذه الإشارات التي تحملها لوحة الغلاف تتيح للمتلقي مجالا أوسع للتأويل ومحاولة فهم النص وأحداثه، فحالة المرأة وهي جالسة في غرفة مظلمة شاردة الذهن، تنقل لنا جانبا من نفسية شخصيات الرواية «فلوحة الغلاف قادرة على كشف الحالة النفسية لشخصيات الرواية ولكاتبها، كونه المسؤول الأول عن الرواية بكل عناصرها وقد تكون اللوحة أكثر قدرة من الكلمات على إظهار جوانب الرواية»[15]

فالأصابع في العنوان يجدها القارئ في النص عاملا مشتركا بين عدة شخصيات، بداية بماجدلينا التي اتخذت من ماخور عيشة مستقرا لها، ولم يتعرف عليها البطل إلا بعد ستة أشهر،على الرغم من أنها كانت على تواصل معه يوميا، وكانت الصلة الوحيدة بينهما أصابعها فهي أول امرأة في حياة البطل يونس مارينا فيقول «وأنت لماذا خبأت وجهك علي طوال هذه المدة التي لم أر فيها إلا يدك وأصابعك حتى أصبحت دليلي في كل شيء كنت في البداية أتعامل مع الإناء الذي تسلمينه لي ولكني مع الزمن أصبحت أجد لذة في أن ألمس أصابعك وأنا آخذ منك الإناء ويبدو لي أنت أيضا"[16].

ثم تواصلت العلاقة بينهما وكانت الأصابع هي الإشارة دوما.

ـ "أنا لم أطلب أكثر من ذلك كنت ضيفا. لم أتخط هذا الحد إلا يوم لمست أصابعك ولم تمانعي

ـ هههه من يقول لك أني لم أقصد ذلك؟

ـ فهمت في المرة الثالثة عندما بقيت يدي على أصابعك للحظات، كانت تطول في كل يوم أكثر، ثم من أصابع اليد الواحدة إلى أصابع اليدين"[17].

لقد حوّلت اشارة الأصابع العلاقة بين يونس مارينا وماجدلينا من الوحدة والظلمة التي يعانيها كل منهما الى الالتحام والطمأنينة، فقد كانت أصابعها هي من تمنح له الحياة في هذا المكان المظلم وتوصل صوته الرافض للوضع الذي آلت إليه البلاد ونقمته على هذا

الانقلاب الذي جعل البلاد تأكل ابناءها، إذ كان يسلمها مقالاته التي يهاجم فيها العقيد ويدافع عن الرايس بابانا، وهو ما جعله مطلوبا من ذئاب العقيد، وبثت هذه المقالات روح التضامن والحب للرايس بابانا.

كانت الأصابع دوما هي ما يلفت الانتباه لدى يونس مارينا عند أول لقاء مع أي امرأة، إذ حدث هذا مع لوليتا وماجدلينا، فكان اللقاء الأول مع لوليتا الى جانب رائحة العطر المميزة، فقد لفت نظره جمال الأصابع في البداية عندما قبّل يدها «شعر بنعومة أصابعها التي تشبه الحرير»[18].

إن القارئ وهو يغوص في قراءة الرواية يجد نفسه يتشارك مع يونس مارينا التأويل نفسه الذي قد ظنه في بداية الرواية من خلال تأويله للعنوان، فيونس مارينا أيضا اعتقد أن لوليتا عازفة، «أصابع ناعمة وطويلة، عازفة بيانو؟

.غير محترفة أعزف لنفسي ولمن أحب»[19]

ثم يركز مرة أحرى على أصابعها التي تلفت نظره وهي تحمل روايته (عرش الشيطان) «رأى أصابعها الناعمة الطويلة وهي تقبض على الرواية كما في المرة الاولى وهي تحتضن كفه وتقبل يده. الأصابع معبر نحو سر صاحبتها وسحرها»[20]

2.اللوحة الفنية وحضورها في المتن السردي:

إن اللوحة الفنية، بما تحمله من دلالات وإيحاءات تجذب المتلقي وتثير فيه رغبة في الاطلاع على النص ومحاولة تفكيك شفراته ومعرفة العلاقة بين المتن السردي واللوحة الفنية إذ «تمثل لوحة الغلاف أيقونة فنية ذات قدرة دلالية كبيرة في الكشف عن كينونة النص وتشكّلاته، فهي تعطيه ايماءة واضحة لمكونات النص الإبداعي»[21]

ولهذا لم يكن اختيار اللوحة الفنية كصورة للغلاف اختيارًا عفويًا يهدف لجمالية الغلاف فقط، بل إن القارئ المتصفح لهذه الرواية يتعايش مع هذه اللوحة الفنية في كل مشاهد الرواية عبر زمنها السردي المتواصل، فتتشابه صورة المرأة ووضعيتها في اللوحة مع وصفه لماجدلينا في بداية رحلة غربته وهروبه من رجال العقيد «ثم فجأة رآها مثلما حلم بها ذات ليلة. جالسة في لباسها الشفاف المائل نحو لون بنفسجي باهت، مال قليلا على مستوى الجهة اليمنى، من الكتف والصدر بشكل أبرز الجزء الأيمن من نهدها، كانت متكئة على الحائط في يدها كتاب آرثر كوستلر، ولا يعرف إن كانت تقرأه أم تتأمل خطوطه فقط،

عمقت الشمعة كل الزوايا المظلمة من جسدها»[22]فهما يشتركان في وضعية اللباس واليد، فمدة بقائه الطويلة في ماخور عيشة والتي قاربت ستة أشهر قضاها في ظلام لا يرى من هذه المرأة المكلفة بحمايته إلا ظلها، وهو ما يجعل القارئ يربط هذه الصورة باللوحة الفنية التي غلب عليها الظلمة وبقيت ملامح وجه المرأة غير واضحة.

ثم يربط الروائي بين اللوحة الفنية ومشهد سردي آخر بعد لقائه بلوليتا، إذ يقوم يونس مارينا، في لحظة سكون وهدوء بعد نوم لوليتا، بالمقارنة والربط بين المرأة في اللوحة ولوليتا، إذ تتداخل اللوحة مرة اخرى في السرد وتجذب القارئ إليها ولتفاصيلها، ولكن هذه المرة ليربط الصلة بينها وبين لوليتا إذ يقول «لأول مرة يرى الشبه بينها وبين لوليتا. النعومة. شعرها المرمري خلفها بكل طوله. نعومة جسدها، حتى ميلان اللباس الذي يتزحلق قليلا من كتف الجهة اليمنى، ليبرز الجزء العلوي من النهد الأيمن. ..كان الشبه مع لوليتا كبيرا، حتى في شعرها الهارب نحو ظهرها»[23]،فهو ينقل لنا التشابه الذي يراه بين شعر لوليتا والمرأة في اللوحة وكذا طريقة تسريحه التي زادته جمالا، إلا أن المتلقي يرى بأن الراوي قد نقل صورة ماجدلينا ولوليتا بما يتطابق مع اللوحة الفنية بنفس العبارات والوصف والترتيب فبدأ بوصف الشعر المنسدل ثم انزلاق اللباس قليلا عن الكتف الأيمن مما يترك القارئ في حيرة ويثير لديه تساؤلات جديدة : هل انبهر يونس مارينا بهذه اللوحة فأصبح يرى كل امرأة تصادفه، أو تكون له معها مغامرة فيحاول أن يربط جمالها باللوحة لتصل عنده لمرحلة الكمال وبهذا تكون امرأة اللوحة هي الأصل؟

من هذا التساؤل الذي يضعه القارئ، مستندا لما يعيشه ويتفاعل معه في غوصه في المتن السردي للرواية، يزداد يقينا من أثر هذه اللوحة وحضورها في حياة البطل يونس مارينا عبر مراحل حياته المختلفة.

3.دلالات اللوحة الفنية و أثرها في حياة البطل:

واسيني الأعرج من الروائيين الذين امتازت رواياتهم بالغلاف المميز ، والذي يثير لدى المتلقي دافعية ورغبة في القراءة وشحذ فضوله ويغريه بالولوج إلى عالم النص الروائي «فبداية النص الروائي لا تكون إلا بالواجهة الخارجية التي تستقبل المتلقي منذ الوهلة الأولى، وقد أعطت هذه الصورة عدة رموز وإيحاءات عن مضمون المتن السردي»[24]،لا يمكن أن تُختزل اللوحة في علاقتها وربطها بالوجوه النسائية في حياة يونس مارينا (ماجدلينا،

لوليتا)، بل إن هذه اللوحة تتجاوز هذه العلاقة لتشكل عند يونس مارينا علاقة عاطفية أخرى، فهي تذكره دوما برائحة الأشياء العتيقة التي تحيله إلى جدته بقريته الصغيرة مارينا، وهذا يبرز من جهة أخرى عمق هذه العلاقة التي ظلت راسخة في ذاكرته، وكذا يبرز قيمة اللوحة المعنوية التي تحولت من مجال المقارنة مع شخصيات الرواية إلى مجال آخر وهو ربطها بوجوده الأسري والحنين إلى جدته.

لا يكتفي يونس مارينا في الرواية بالتركيز على جمالية اللوحة التي سمّاها "الذبابة"، وإنما يغوص مع المتلقي في تاريخ اللوحات الفنية، معرّجا على بعضها واصفا إياها وصفا عامًا ليبث في القارئ الشوق والرغبة في الاطلاع عليها، وهي إشارات لطيفة من الكاتب لبث روح التذوق الفني والمحافظة عليه، إذ يجمعه الحوار مع ماجدلينا حول لوحة "أصل العالم" وسر تسميتها التي أحدثت ضجة ووصفت بغير الأخلاقية، إلا أن الراوي يتحدث من جانب قيمتها الفنية وثورتها على الأعراف وأيضا على الصورة النمطية للوحة الفنية

«تعجبني لوحة أصل العالم؟ تعرفها؟ أحدثت ضجة كبيرة.

.لا، لا أعرف عنها شيئا

. حتى أنا لا أعرف عن اللوحة الشيء الكثير. أهداني صورة عنها رجل عابر حط به الرحال في بورديل عيشة الطويلة. أمه كانت فرنسية. ولم يفهم يوما لماذا يريد الأهل قتلي. قال لي يومها إن المرأة مركز العالم. ..

نسي العمل الذي دخل من أجله وراح يشرح لي اللوحة مصرا أنها لغوستاف كوربي، عكس ما يدعيه أشباه النقاد، وهو فنان من القرن التاسع عشر قاد التيار الواقعي إلى درجة الاستفزاز، وفتح الأبواب على مصراعيها على موضوعة الإيروتيك، للرسامين والمصورين اللاحقين، أظهر في أصل العالم ما خبأه ماني في لوحته أوليمبيا وخبأ ما أظهره ماني أيضا»[25]

يعجب المتلقي من الاسم الذي أطلقه يونس مارينا على هذه اللوحة المتفاعلة مع أحداث الرواية طوال سيرورة زمنها السردي فقد أطلق عليها اسم "الذبابة"، فقد يبدو هذا الاسم غريبا، إلا أن القارئ لهذه الرواية والمتمعن في أحداثها الذي غاص في أغوار شخصية يونس مارينا يدرك سر هذه التسمية، فهذه اللوحة كانت المؤنس الوحيد له في حياته التي تعرض فيها لكثير من التهديدات، فيقول «بها رائحة جدتي وجراحات المنفى القاسي. هي من

منحني بعض الألفة وجعلتني أخرج من خراب الخوف والعزلة القاسية»[26] وهو في هذا يعيد للقارئ صورة الرايس بابانا وهو يتخذ من الذبابة رفيقة له في سجنه تؤنسه، يحدثها ويتقاسم معها طعامه وحياته «كانت الذبابة رفيقه الوحيد في حجرة الموت، تعود عليها لدرجة أنه كان دائما يتساءل ماذا لو تموت يوما مثلا؟ عندما لا يسمع طنينها الواضح حتى في الظلمة يشعر بأنها مريضة أو خرجت أو ربما. ..ماتت»[27] حتى أنه دخل في حالة حزن شديد بعد أن وقعت هذه الذبابة فريسة لعنكبوت، الأمر الذي جعل الرايس بابانا يتحيّن الفرصة لينتقم منه، لم تكن الذبابة عند الرايس بابانا مجرد حشرة، بل كانت المؤنس الوحيد له، فقاسمته طعامه وفراشه، فكان يشكو لها ما به حتى لا يصاب بالانهيار، ولهذا سماها لالة مينة على أمه فكان يحادثها «يا لالة مينة، ربي يحفظك ويخليك، وفوق جناح السماء يعليك أنت لست ذبابة فقط، أكبر من ذلك، وسيطي لكي لا اسلم في حقي في الحياة التي يريدون انتزاعها مني»[28]

وقد بيّن الراوي مكانة الذبابة عند الرايس بابانا، ومدى تأثره بغيابها وموتها، حيث أعد خطة للانتقام من العنكبوت، وحتى بعد الانتقام فإن الصورة التي تقلها الراوي عن الرايس بابانا يبرز حزنه، وهو ما جعل حارس زنزانته يشعر بألمه وقهره:

«لم يضحك الثاني وهو يرى الرئيس من وراء الكوة منكفئا على نفسه في وضع جنيني ومثير للشفقة.

ـ هذا هو الرايس بابانا، أكاد لا أصدق؟ لقد نحف كثيرا والله يحزنني؟ ا يمكن أن يفعل به هذا...»[29]

وهذا الموقف يجعل من الاسم يحمل دلالات متنوعة تتيح للقارئ حرية التأويل والبحث، فهذا الاسم ارتبط في الرواية عند الرايس بابانا وعند يونس مارينا كمساعد لمواجهة الخوف والوحدة والوقوف في وجه الظلم، بداية من الرايس بابانا الذي حاول أن يواجه ظلم العقيد وخيانته له، ويونس مارينا كانت لوحته الذبابة المؤنس له في وحدته وغربته هربا من ذئاب العقيد أولا، ومن التهديدات للجماعات المتطرفة بعد ذلك.

وقد تكون هذه اللوحة أمدت الكاتب بعدة أفكار، جعلته يربط حضورها الدائم في المتن السردي ويجعلها تتداخل مع صورة شخصياته في الرواية، بداية من ماجدلينا الى لوليتا

فرغم تغير الشخصيات وزمن السرد، إلا أن اللوحة ظلت ماثلة في كل المشاهد ومؤثرة فيها بجماليتها المبهرة.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكننا أن نستخلص مجموعة من النتائج:

. إن توظيف اللوحة الفنية في ثنايا السرد كمؤثر في الاحداث أحدث ميزة جمالية في السرد لدى واسيني الاعرج، إذ يهدف هذا الأسلوب في الرواية إلى ربط المتلقي وتوجيهه، وإثارة دافعيته للاطلاع على هذه الفنون، وكذلك تهدف الرواية إلى زرع روح التذوق الفني لدى المتلقي.

. إثراء الرصيد المعرفي والفني للمتلقي من خلال اطلاعه على الإنتاج الفني العالمي، فلم يقتصر على لوحة مريم المجدلية لجورج دولاتوربل استدعى الروائي لوحات عالمية أخرى ووظفها في المتن السردي، كلوحة أوليمبيا لإدوار مانيه وأصل العالم لغوستاف كوربيه.

. لوليتا بطلة الرواية، هي امتداد لشخصيات واسيني الأعرج الروائية التي ظهرت في رواياته السابقة، إذ كانت شخصياته في الغالب من الطبقة المثقفة، كما هو حال لوليتا عارضة الأزياء والقارئة النهمة لكل روايات يونس مارينا، ومايا بطلة رواية (مملكة الفراشة) الصيدلية والعازفة على آلة الهرمونيكا، وحنين الصحفية ومقدمة البرامج الثقافية في الإذاعة في رواية (شرفات بحر الشمال)، وكذلك مريم راقصة الباليه التي قاومت الموت في رواية (سيدة المقام).

. عند قراءة العنوان ومشاهدة صورة الغلاف، يحاول المتلقي أن يحلل وضعية المرأة في اللوحة وهي تعيش حالة الخمول والذهول في ظلمة حالكة، ولكنه عندما يصل إلى نهاية الرواية، يدرك أن الظلمة والحزن تواصل في حياة المرأة في الرواية ممثلة في لوليتا التي انتحرت ومريم ماجدلينا التي ظلت حبيسة ماخور لالة عيشة الطويلة.

. في ثنايا الرواية لم يقدم الراوي أي تحليل أو قراءة لصورة المرأة في اللوحة رغم تعدد مواقف حضور اللوحة في السرد، بل ترك ذلك للمتلقي واكتفى بمحاولة ربط صورة المرأة بصورة من أحب من النساء من خلال وضعيتها في اللوحة.

. أثار عنوان الرواية لذة القراءة للمتلقي بسبب حمولته الدلالية وثرائه المعرفي، من خلال استدعاء اسم لوليتا الذي يدفع القارئ ويغريه لقراءة الرواية ومتابعة تفاصيلها.

- الإحالات والهوامش:

[1]عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص:.15

[2] منير الزامل، التحليل السيميائي للمسرح، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2014، ص:27.

[3]هاشم ميرغني، بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط 1، 2008،ص:85.

[4] فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيل الجمالي لصوة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد 2، العدد 1، 2014، جامعة المسيلة، الجزائر

[5] وفاء دبيش، وردة بويران تصميم الغلاف والمسكوت عنه في كتابات فاطمة المرنيسي، مقاربة سيميائية لنماذج مختارة، مجلة النص، جامعة سيدي بلعباس، المجلد8، العدد1، 2021ص:320.

[6]عتبات جيرار جينيث من النص الى المناص، عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2008 ص 44

[7] خالد العارف، الفضاء الثالث في روايات واسيني الاعرج، شطب الحدود وإعادة الكتابة، مجلة تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية،الدوحة، قطر، مجلد 4، العدد14، خريف 2015، ص:176.

[8]جريس مخول، العتبات النصية والنص الموازي (الكتاب لادونيس)جامعةحيفا،2009، ص.37:

[9]هفيف البهنسي، ا لنقد الفني وقراءة الصورة،دار الوليد، ص:.43

[10]أصابع لوليتا، ص:66.

[11]. محمد الامين خلادي، شعرية العنوان بين الغلاف والمتن مقاربة بين الصورة والخطاب الروائي/ اللاز نموذجا أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب يوم 24/23 فيفري 2011، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، المجلد 11، العدد 15، 2012،ص:32.

[12]يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر الدار العربية للعلوم ناشرون ط1 2015 لبنان ص:68.

[13]محمد سيف الإسلام بوفلاقة، قراءة سيميائية في رواية (سيدات القمر) لجوخة الحارثي، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 14، جوان، 2019جامعة تلمسان، ص:86.

[14]. أبو المعاطي خيري الرمادي، عتبات النص ودلالتها في الرواية العربية المعاصرة، جلةمقاليد،2014، عدد 7، جامعة ورقلة، الجزائر.

[15]عزوز أمينة، جمالية السرد في الخطاب الروائي عند الحبيب السائح رواية (من قتل اسعد المروري) أنموذجامقاربة سيميائية تداولية، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر،2022/2021، ص:202.

[16]. أصابع لوليتا، ص:65

[17]المرجع نفسه،ص :67

[18]أصابع لوليتا، ص:34.

[19]أصابع لوليتا، ص:34

[20]. المرجع نفسه، ص: 42

[21]اسراء حمد مرزوق ماضي، سيميائية السرد في روايات نجيب الكيلاني، رسالة ماجستير، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2017، ص:21

[22].المرجع نفسه، ص: 71

[23] المرجع نفسه، ص: 230.

[24]بوفنارة مفيدة، عتبة الغلاف الروائي، صورة الجسد الأنثوي في رواية (شهقة الفرس)للروائية سارة حيدر، مجلة الباحث، العدد 17،ص:106.

[25].أصابع لوليتا، ص:77

[26].المرجع نفسه، ص: 270

[27].أصابع لوليتا، ص:93

[28]أصابع لوليتا، ص:93

[29]أصابع لوليتا، ص:95.

- قائمة مصادر البحث ومراجعه:

الكتب:

1. جريس مخول، العتبات النصية والنص الموازي (الكتاب لأدونيس) جامعة حيفا،2009.
2. عبد الحق بلعابد عتبات جيرار جينيث من النص الى المناص،منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2008.
3. عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011،
4. عفيف البهنسي، النقد الفني وقراءة الصورة، دار الوليد، د ت، د ط، سوريا
5. منير الزامل، التحليل السيميائي للمسرح، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2014.
6. واسيني الاعرج، أصابع لوليتا، دار الصدى، دبي ،2012.

7. يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر الدار العربية للعلوم ناشرون ط1 2015 لبنان.

المجلات والرسائل الجامعية

1. أبو المعاطي خيري الرمادي، عتبات النص ودلالتها في الرواية العربية المعاصرة، مجلةمقاليد،2014، عدد 7، جامعة ورقلة، الجزائر.
2. اسراء حمد مرزوق ماضي، سيميائية السرد في روايات نجيب الكيلاني، رسالة ماجستير، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2017.
3. بوفنارة مفيدة، عتبة الغلاف الروائي، صورة الجسد الأنثوي في رواية (شهقة الفرس) للروائية سارة حيدر، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر المجلد 9، العدد 1، 2017.
4. خالد العارف، الفضاء الثالث في روايات واسيني الاعرج، شطب الحدود وإعادة الكتابة، مجلة تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية، الدوحة، قطر، مجلد 4، العدد14،خريف 2015،
5. عزوز أمينة، جمالية السرد في الخطاب الروائي عند الحبيب السائح رواية (من قتل اسعد المروري) أنموذجامقاربة سيميائية تداولية، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر،2022/2021.الجزائر
6. محمد الامين خلادي، شعرية العنوان بين الغلاف والمتن مقاربة بين الصورة والخطاب الروائي/ اللاز نموذجا أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب يوم 24/23 فيفري 2011، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، المجلد 11، العدد 15، 2012
7. محمد سيف الإسلام بوفلاقة، قراءة سيميائية في رواية (سيدات القمر) لجوخة الحارثي، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 14، جوان 2019، جامعة تلمسان، الجزائر.
8. هاشم ميرغني،بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط 1، 2008
9. وفاء دبيش، وردة بويران تصميم الغلاف والمسكوت عنه في كتابات فاطمة المرنيسي، مقاربة سيميائية لنماذج مختارة، مجلة النص، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 8، العدد1، 2021.
10. فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيل الجمالي لصوة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد 2، العدد 1، 2014، جامعة المسيلة، الجزائر.